

طلبتنا والقراءة،

مقاربة سوسيولوجية من زاوية المتغير الإبيستمي اللغوي.

أ.فكروني زاوي

أستاذ علم الاجتماع بجامعة سيدي بلعباس

تقديم:

ثمة هناك اعتقاد راسخ، بأن أهم ما تؤاخذ عليه سوسيولوجيا القراءة، أنها اهتمت بالقراءة، و تناست القارئ، اهتمت بأطر القراءة و تناست مضامين القراءة ذاتها. فالقراءة كفعل اجتماعي لا تتصل بمحددات خارجية متغيرة فقط بل كذلك بمحضرات داخلية ثابتة⁽¹⁾. كالمسلمات الثقافية للمجتمع الذي ينتمي إليه القارئ و المستوى الحضاري و مكونه الثقافي و الإيديولوجي. فباعتبار القراءة فعل اجتماعي فهي متصلة حتما بمجموع القيم و الأفكار و المعتقدات المتداولة بين أفراد جماعة أو مجتمع معين، و ليس بالضرورة ببعض المحددات الموضوعية كمستوى تعليم الآباء و الدخل، وغيرها...

و بهذا تنحصر هذه المقالة في نطاق فكرة مبدئية أساسها أن انحسار المقروئية لدى طلبتنا ليس مرده إلى الشروط المؤطرة لفعل القراءة - بالرغم أهميتها- و إنما إلى تمثّل و فهم طلبتنا للقراءة في جانبها اللغوي و الدلالي. و عليه سوف نهتم بتوضيح ذلك من خلال توضيح دلالات القراءة بالنسبة لطالب الجزائري من خلال تحليل استعماله اللغوي لتعبير عنها. معتمدين في ذلك على المضامين الاستعارية المشكلة لتمثلات القراءة لديهم.

1 - النظام المعرفي أو الإبيستيمي:

النظام المعرفي كحقيقة و جوهر موجود في كل البنى المعرفية سواء أطلق عليه مسمى، أي تمت معرفته وتعريفه، أم ظل كامنا متسرّبا في مختلف مستويات التفكير الإنساني ومجالاته، فكل الثقافات الإنسانية تشتمل على نظام معرفي معين خاص بها، قد لا يدركه أفرادها حتى العلماء منهم، لأنه نظام كامن يدخل في مكونات الوعي الجمعي للمجتمع، ويشكل مدركاته ورؤيته للعالم ومنهجه في التفكير، وبدون هذا النظام الناظم لا يمكن أن تنشأ ثقافة أو تبنى علوم أو معارف. يقول ليفي - ستراوس: "إذا كان النشاط اللاشعوري لفكر يكمن، كما نعتقد، في فرض بعض الأشكال على مضمون ما، وكانت هذه الأشكال واحدة في الأساس بالنسبة لجميع الأفكار القديمة والحديثة، البدائية و المتعدنة، فينبغي و

يكفي الوصول إلى بنية لاشعورية كامنة في كل نظام عام أو في كل عادة، للحصول على مبدأ تفسير صحيح بالنسبة لأنظمة عامة وعادات أخرى... (2).

يسمى "فوكو" هذا النظام بـ"إبيستيمي" * "Épistème" أو "البنية الضمنية للمعرفة" (3) أي تلك الأرضية التي تقوم عليها معرفة عصر معين ومجاله المرئي، والمرتكز الثابت الذي تتولد فيه كل معرفة أو اعتقاد (4). فهو يرى أن الأفكار والتمثيلات تدخل في تشكيلها عدة مفاهيم تكمن في جذور النظام المعرفي نفسه. وعليه فإن فحص بسيط للمفاهيم والتسميات يبين حقيقة أن النظام المعرفي هو منظومة من الاعتقادات أو المواقف المعرفية التي نرجع إليها في تشكيل طبيعة معارفنا مهما كان نوعها، وفي الطرق والمناهج التي نوظفها في تشكيل المزيد من تلك المعتقدات أو تعديل السابق منها.

وبهذا المعنى يمكن القول أن "الإبيستيمي" هو مجموع الاعتقادات المبررة والاستراتيجيات المستعملة التي تمنح الفكر عموماً والثقافة خصوصاً طاقة للنمو والتطور، وبما هي (إمكان) فإنها تمنح الحاملين له، القدرة على التفكير بطريقة متماثلة مع إمكانات عديدة، أو بمعنى آخر فإن النظام المعرفي هو بمثابة بنية القواعد التي تنظم المعارف والمناهج، وتتحكم في العقول وتجعل جماعة اجتماعية تتماثل في التصرف والرؤية والاعتقاد.

و في نفس المعنى يعرف "الجابري" النظام المعرفي بأنه جملة من المفاهيم والمبادئ والإجراءات التي تعطي للمعرفة في فترة تاريخية ما بنيتها اللاشعورية (5). أو "لا وعي المعرفة" بحسب تعريف "فريدريك غرو" (6). أي أنه يمثل المنطق الذي يحكم إنتاج وتداول المعرفة ويكون متماهياً في الممارسة لدرجة أن الوعي لا يستحضره. إنه نظام مؤسس وعميق التأثير. وهو من هنا نظام خفي، لا يمكن استظهاره أو ملاحظته مباشرة، فهو كامن خلف البناء الكامل للثقافة.

لكن ماذا يقصد "الجابري" بالبنية لاشعورية؟ في الحقيقة أن "الجابري" لم يوضح بالشكل الكافي المقصود بمصطلح "لاشعورية" وإنما اكتفى بالإشارة إلى اللغة العربية وعلاقتها بالأنظمة المعرفية العربية. فهل يقصد بالبنية لاشعورية البنية اللغوية أم اللغة؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف للاشعور أن ينتج فعلاً أو موقفاً لاوعياً نعتقد أنه واعى ؟

1 - 1 النظام المعرفي واللغة:

يقودنا منطق هذا التساؤل بالضرورة إلى طرح قضية أخرى ذات صلة وثيقة بإشكالية العلاقة بين اللغة والثقافة، والتي تحيلنا ضمناً إلى مسألة العلاقة بين اللغة والواقع. لقد بين "بنفيست" أن اللغة تعبر عن الوجود، وأن

اللغة والوجود وجهان لعملة واحدة. فاللغة ليست مجرد وسيلة لتوصيل الأفكار عن العالم ، بل أداة لجعل العالم موجودا في المقام الأول ليس الواقع ببساطة " معاشا " أو " معكوسا " في اللغة ، بل هو بالفعل محدث بواسطة اللغة " (7).

في هذا السياق يطرح "وورف و سابير" فرضية ترى أن البنى الدلالية – التركيبية للغة تصبح بنى تحتية لرؤية العالم عند الناس من خلال تنظيم الإدراك السببي للعالم*** ، والتصنيف اللساني للكينونات، ويظهر التصنيف اللغوي بوصفه تمثيلا لرؤية العالم، وهذا التصنيف يعدل الإدراك الاجتماعي، ومن ثم يقود إلى التفاعل المستمر بين اللغة والإدراك (8).

أي أن الدور الذي تمارسه اللغة في تشكيل رؤية عن العالم هو دور مركزي، والنظر هنا أو الرؤية لا تتم إلا عبر معنى الكلمات (9)، فعمليات الإدراك الحسي لا تبدو محايدة تماما، على الرغم من أنها تبدو كذلك فعلا، فالحيوانات لديها نفس وسائل الإدراك الحسي، ومع ذلك فإن الإنسان وحده هو القادر على تطوير أساليب مدهشة للتعامل مع العالم، إنها اللغة التي تمكن الإنسان من التأويل، وفي التأويل السر الأكبر، فالإنسان لا يتطلع فقط إلى هذا العالم من خلال وسائل الحس لديه، إنه يدرك هذا العالم ويقوم بتأويله، أي أن رؤية العالم لديه تتم من خلال عمليات تأويل الكلمات.

وهكذا، فإذا كان التأويل فعل ثقافي فإن معنى ذلك أن الكلمات لا تعبر عن الواقع بل عن تصورنا له. إن هذه النتيجة كافية لتبيان صحة منهج "الجابري" في تناوله لبنية اللغة العربية كمدخل لدراسة النظام المعرفي العربي. لكن كيف يمكن أن تكون البنية اللغوية بنية لاشعورية توجه التفكير؟

قد نجد الإجابة عن ذلك في نظرية "لاكان" اللغوية. اللغة شرط للاشعور وهي الصيغة التي قلب بها الصيغة القديمة القائلة بأن "الاشعور هو شرط اللغة معتمدا على أعمال فرويد" في الاشعور L'Inconscience، ولكنه يضيف على البنية اللاشعورية هذه طابعا لغويا ويطابق بين مفهومي اللغة والاشعور عند الإنسان، فجوهر اللغة لاشعوري واللغة تشكل منطق الاشعور وماهيته (10). وفي هذا الميدان تبرز أهمية معنى الكلمة وألويته كما تتبدى أهمية التصنيف الاجتماعي للدال و المدلول. فالصنيف الاجتماعي (11) يشكل بالنسبة للكائن البوتقة التي تتشكل فيها أفكاره و معتقداته و تمثلاته ، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن التصنيف الاجتماعي للدال و المدلول يلعب دورا حاسما في بناء الجانب المعرفي للفرد وفي تشكيله الذهني. وإن كان "لاكان" يشير في هذا المستوى إلى أن ذلك اللاشعور يتجسد من خلال البنيات الاستعارية Métaphore *** المستخدمة في التعبير عن الواقع وإلى الكناية Métonymie التي يربط بها الفرد دلالة معينة بدلالة أخرى مضمرة، أي بإيجاد رابطة بين إشارة دالة وإشارة أخرى مغايرة.

و عليه فالاشعور بمفهوم "لاكان" يؤدي عمله وكأنه بنائية، فهو الذي يتكلم داخل الإنسان، ويفعل في الواقع من

خلال اللغة. وبما أن اللاشعور من حيث هو بنائية على هيئة لغة، فهو بالنسبة لـ"لاكاز" خطاب الآخر⁽¹²⁾ Discours de L'autre الذي يتحدث وتبدأ معه حركة النشاط الدلالي. فكل كلمة من كلمات اللغة يتعين فهمها في علاقاتها الحرفية بكلمات أخرى حاضرة أو غائبة، وكل علاقة مع الآخر (ذات أو موضوع أو عالم) هي نتاج لصياغة ثقافية تتصور الذات و تضعها في مكانها أي ضمن المحددات الموضوعية و الثقافية التي تتحكم فيها.

ومنه يمكننا الاستنتاج بأن استعمال اللغة يخلق نسقا خاصا به يتحكم في العقل، ويحدد إطار التفكير ويوجهه نحو جهات غير متصورة أو متنبأ بها. فهو يصبح عقلا داخل العقل، ويشكل منظومة من القيم والمبادئ التي تحدد أسس التعامل أو التصرف إزاء الواقع أو العالم.

2 - الدلالة اللغوية للقراءة لدى طلبتنا :

والآن كيف لنا أن نبين أثر النظام المعرفي اللغوي للطلاب على ممارسته للقراءة ؟

للإجابة عن هذا السؤال، يجب أن نعرف أولا كيف يفهم ويتصور طلبتنا "القراءة". يقول لايكوف وجونسون " : ... وبما أن جزءاً مهما من واقعنا الاجتماعي يفهم بطريقة استعارية، وبما أن تصورنا للعالم الفيزيائي استعاري جزئياً، فإن الاستعارة تلعب دورا دالا في تحديد ما هو واقعي وحقيقي عندنا"⁽¹³⁾. وفقا لهذا المنظور فإن القراءة تجد مشروعيتها في طبيعتها دلالاتها الاجتماعية، أي في الصورة والتمثل الذي يحمله الأفراد عنها، بمعنى امتلاكها لاعتراض اجتماعي له معنى و دلالة متفق حولها، وقابلة للتجسد. ليس على مستوى التمثل فقط، بل أيضا على مستوى الفعل و الممارسة.

وعليه ففهم و تصور القراءة لدى طلبتنا يكمنان في الاستعارات اللغوية المستعملة من طرفهم للدلالة على القراءة، فالاستعارة ظاهرة تنتظم طرق تواصلنا، وفكرنا، وثقافتنا، وممارساتنا، فتصاحبنا في كل مكان وفي معظم الأوقات والتعاملات، في كلامنا، وعاداتنا، وطقوسنا، وفي أمثالنا، وهي بذلك تعكس فكر المجتمع وتصوراته ومعارفه ومعتقداته⁽¹⁴⁾.

لكن لو تساءلنا عن نسب استخدام طلبتنا للغة الحية سواء العربية الفصحى أو الفرنسية، لوجدنا أنها تستخدم فقط في الكتابة أو الاستعمال المؤسساتي المنتج لنوع معين من الخطابات المحددة قبليا بشروط مؤسساتية، أما النسبة الكبرى من الاستعمال اللغوي اليومي والعادي فهي تعتمد على اللغة العامية⁽¹⁵⁾ في التواصل والتعامل.

وعليه من المهم ملاحظة " الدلالات اللغوية العامية" للقراءة و ليس الدلالات اللغوية الفصحى، ذلك أن البحث عن معنى القراءة في اللغة الفصحى يحصر البحث في نطاق معاني الكلمات و مفهوما ، أي بضبط حيث لا وجود لتلك

الابستمية ولا مكان لذلك الفهم، ذلك أن قدرة المفاهيم على توجيه التفكير لا توجد في الكلمات ذاتها، لكنها توجد في طرق فهم تلك الكلمات. أي أن "الفهم" هو المستند في الوصف والتعرف على الواقع، وباعتبار أن الفهم هو فعل اجتماعي، فهو يمثل أحد أفعال الثقافية، بمعنى أن هناك عناصر ثقافية تتحرك وتتفاعل، وعبر هذا التحرك والتفاعل تنشأ نماذج خاصة لقولات تسود الخطاب، ومن ثم تأتي الممارسة التي تعني وضع الخطاب في وظيفة، بأن تجعله يعمل ويعمل به، وما الممارسة سوى المسمى الإجرائي للفعل الثقافي ذي الطابع العام والجماعي. والاستعارة هي فعل ثقافي يتجسد من خلال اللغة التي يتوقف استعمالها كما بين "جاك دريدا"⁽¹⁶⁾ على مدى ارتباط المتكلم برمزية الكلمات التي يستعملها أكثر من دلالتها. فالاستعمال الصوري للغة "langage formalisé" ينطوي على مجازات و أمثال و صور ذهنية⁽¹⁷⁾ خاصة بكل مجتمع. فمثلا مفردة "الحقيرة" في العامية الجزائرية هي أشد دلالة من كلمة الظلم أو اللاعدل رغم انحدارها من مفردة الاحتقار، لكن استعمالها يمنحها قوة دلالية، لأنها ترتبط بفهم خاص بالجزائريين وحدهم.

الملاحظ إجمالاً على الطالب الجزائري، أنه يتمثل القراءة بمعنى وتصور معاليف للدلالة الإصطلاحية، فهو عندما يتكلم عن "القراءة" فإنه يقصد "الدراسة"، "المستوى التعليمي"، "العلم" و دلالات أخرى متشعبة و متعددة، لكن الغالب عندنا هو أن الطالب، يربط ربطاً ميكانيكياً بين القراءة وبين الأداء الفعلي للتعلم داخل الحقل التربوي عموماً. لهذا نجد الاستعارات التي يستعملها للدلالة على القراءة تتفرع عن مضامين ثقافية، تشمل جوانب متعددة لرؤية وفهم المجتمع للعلم والتعلم، ولكي نفهم كيف أن استعمال العبارات الاستعارية في اللغة اليومية بإمكانه أن يفيدنا لفهم طبيعة تصور طلبتنا للقراءة، لنلاحظ البنيات الاستعارية المستعملة من طرفهم:

- راني نقرا. (إنني أدرس)
- قريرتوا ولا مزال. (هل درستم أم لا)
- مونتنا تبدأ القراية؟ (متى تبدأ الدراسة)
- دخل يقرا ولا مزال؟ (هل يدرس)
- هذاك الأستاذ يقري مليح. (ذلك الأستاذ يدرس جيداً)
- مشي نتاع قراية، (لا يهتم بالدراسة)
- قراية ما فيها فايده، (لا فائدة من الدراسة)
- تقرا ولا متقراش كيفكيف. (تدرس أو لا تدرس، الأمر سواء)
- قاري ولا مشي قاري (هل هو متعلم أم غير متعلم)
- يقرمليح. (يدرس جيداً).

- قرا حتى كملت القراية . (له مستوى تعليمي عالي)

إن كلمة قراءة تستعمل من طرف طلبتنا للدلالة على وضعية مفروضة لا يملكون فيها حرية اختيارها أو رفضها ، بحيث يستعملونها للدلالة على حالات و متطلبات التعلم و الدراسة بالأساس ، وفي استعمالهم هذا يتجلى فهمهم و تصورهم " للقراءة " بطرق مختلفة في التعبير عن أوضاع مختلفة لوضعية الأفراد اتجاه العلم و المعرفة عموما ، وهي تبين بشكل عميق مواقفهم و اتجاهاتهم الأساسية إزاء العلم و التعلم ، بهذا يفهم طلبتنا القراءة ويمارسونها باعتبارها وضعية ، و مرحلة و مكانة و مميزة و حكم و أداء أكثر من فعل أو نشاط ذاتي .

إذا هذه التصورات " الدراسة " ، " العلم و المعرفة " ، " المستوى التعليمي " ، يعبر عنها وفق نسق استعاري واحدا مؤسس على التفريع المقولي للكلمة " القراءة " ، لأن القراءة في تصور طلبتنا يشير في جانب من جوانبه إلى استعمال لغوي يكشف عن قيم اجتماعية متعلقة بالعلم و التعلم ، وتعكس ثقافة اجتماعية تربطهما (العلم و التعلم) و تحصرهما في نطاق مؤسسات اجتماعية معينة ، هي التي تعدد فعل القراءة سواء من حيث الزمن أو الموضوع .

و الحق أن البنيات الاستعارية المشار إليها أعلاه تنسجم مع القيم الأكثر جوهرية في ثقافة المجتمع الجزائري و تعكس تصوراته الأكثر أساسية ، لننظر مثلا إلى بعض القيم الثقافية التي تضمنتها البنيات الاستعارية المستعملة من طرف الطلبة ، والتي تنسجم مع استعارات التفاضل الاجتماعي - أو كما يسميها لايكوف وجونسون " : الاستعارات الاتجاهية⁽¹⁸⁾ : " فوق/تحت ، داخل/خارج ، أمام/خلف ، وليس مع ما يناقضها ، فمثلا : عبارة " دخل يقرأ و لا يزال " تنسجم مع استعارتي داخل / خارج ، و عبارة " يقر مليح " تنسجم مع استعارتي فوق / تحت ، وهذه القيم متجذرة بصورة عميقة في نظامنا المعرفي ، و جزءا من عقلية الجزائري و كينونته ، تعكس وجدانه و مشاعره و فكره و معتقداته و مبادئه ، كما تعكس رؤيته للأمور و لكل صروف الحياة ، كما تعكس طرق التعبير عن ذاته و وجدانه و واقعته الذي يعيشه و يتأثر به .

لكن هذا الاستعمال لا يشير بالضرورة إلى إثارة العلم أو الدراسة و تفضيلهما ، وإنما هو استعمال أداتي لوضعية التعلم أو العلم للتفاضل مع الغير ، على حسب السياق المؤطر للاستعارة ، بحيث تستعمل وضعية التعلم أو الدراسة مثلها مثل أي وضعية أخرى كاللعب مثلا أو الغناء أو العمل .

كما نلاحظ أيضا أن البنيات الاستعارية المستعملة للدلالة عن " القراءة " ، لا تقوم فقط بتحديد تصورات الطالبة للقراءة ، بل تقوم - كذلك - بتنظيم أفعالهم و تحديد مواقفهم إزاء القراءة أو التعلم ، بمعنى : أنه لا يعطي طلبتنا

الأسبقية للاتجاه التفاضلي (فوق - تحت) ، عند استعمالهم البنيات الاستعارية الدالة على القراءة، وإنما يعطون الأسبقية للتوازن أو التمركز بحيث يلعب التماثل دوراً مركزياً في تحديد المرغوب فيه أو المتداول اجتماعياً من حيث وضعية التعلم أو "القراءة" بمعنى المقصود من طرفهم، في هذه الحالة يمكن أن تكون البنية الاستعارية الاتجاهية معاكسة تماماً للمنطق والمعقول، ننظر مثلاً إلى الاتجاه غير الفضائي (فاعلي - سلبي)، فالمنطق والمعقول يجعل من الفاعلية فوق، والسلبية تحت في غالبية الحالات، إلا أن طلبتنا من خلال بعض استعمالاتهم الاستعارية لكلمة "القراءة" يعدون السلبية فيها أعلى قيمة من الفاعلية، يظهر ذلك من خلال عبارة "قرا حتى كملت القرية". وبصفة عامة فالاتجاهات الكبرى الملاحظة على الاستعمالات الاستعارية لطلبتنا، تختلف باختلاف أولويات فئة الاجتماعية التي ينتمون إليها، وفي اختلاف التصورات التي يتم توجيهها، وفي الكيفية التي يتم بها ذلك، وفي نفوذ اتجاه على آخر .

يتجلى في هذا الجانب ما يمكن أن يسميه "لايكوف وجونسون" أثر خصوصية المعرفية في بناء الاستعارة، حيث نرى أن لكل فئة اجتماعية لها سلم قيمي خاص يعكس إلى حد ما رؤيتها للواقع المعاش داخل المجتمع أو داخل حقل تواجدها. والطلبة كفئة اجتماعية متواجدة بالحقل الأكاديمي، لها من الخصوصيات ما جعلها تتبنى بنى معرفية خاصة ومميزة تعكس رؤيتها وموقفها اتجاه الوضعيات المختلفة للحقل الأكاديمي، وإن كانت تلك البنى تقوم على عناصر ما وراء لغوية "extra linguistique" وتصورات ذهنية نمطية لها طابع قيمي خاص بالأساس.

الهوامش والاحالات :

- 1 - Chartier Roger, Pratiques de la lecture, Petite bibliothèque Payot, St-Amand-Montrond, 1985, p. 7
- 2 - ستاوس ليفي : الأنثروبولوجيا البنوية . ترجمة مصطفى صالح . منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي . دمشق 1977 . ص 40 .
- * في كتابه "الكلمات والأشياء" قسم "هوكو" الفكر الغربي إلى ثلاث حقبة تاريخية انطلاقاً من تشكل نظام معرفي خاص بكل حقبة، فعصر النهضة يتأسس على نظام "التشابه" مما يعني أن فهم خطابات هذا العصر لا يمكن فهمها إلا انطلاقاً من هذا النظام فهي بمثابة المقدمات أو الأسس التي ينطلق منها التفكير وتتشكل بالتالي من خلالها الخطابات المعرفية والسياسية والفنية... الخ. يلي عصر النهضة العصر الكلاسيكي، المتمثل بالقرنين السابع والثامن عشر، وقد ساد في هذا العصر نظام (النظام والترتيب) أما العصر الحديث، القرن التاسع عشر، أصبح التاريخ أو الإنسان التاريخي هي المقولة الأساسية في هذا العصر.
- 3 - هوكو ميشال : نظام الخطاب . ترجمة محمد سبيلا . الطبعة الأولى . دار التنوير . بيروت لبنان 1984 . ص 98 .
- 4 - المرجع نفسه ص 75 .
- 5 - العجايري محمد عابد : تكوين العقل العربي . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1987 . ص 37 .

6 - فرودريدريك : ميشال فوكو . ترجمة محمد وطفة . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . بيروت 2008 . ص 35.

** في مقارنته لتحليل بنية العقل العربي ، اعتمد الجابري أطروحات علم اللسانيات بربط الفكر باللغة ربطاً لصيقاً ، وأن اللغة ليست مجرد أداة للفكر بل هي القالب الذي يتشكل به الفكر ، حيث ربط بين اللغة والفكر وعلاقتهم وبين خصائص اللغة والأمة التي تتكلمها ، وبأن كل أمة تتكلم كما تفكر وتفكر كما تتكلم . فاللغة ليست أداة فقط ، أو محتوى فقط ، لكنها الوعاء المحكم الذي يحوي المعرفة ويقولها بقالبه . فاللغة تؤثر في رؤية المجتمع للعالم وبالتالي في طريقة تفكيرهم . ولذلك فهي ترسم حدود المعرفة ، فلها نظام دلالات محيطية خاصة بها يتجاوز المعاني المباشرة للكلمات وتعبيراتها ليمتد ليشمل تراكمات التجارب المجتمعية والحياتية والبيئية وسواها بما تحتمله من خطأ وصواب . ومن هنا فقد تتبع ابيستمولوجيا الفكر العربي من خلال تتبعه لكلمات اللغة العربية ، التي انحصرت بعالم الأعراب الذين كانوا منعزلين في البادية ولم يختلطوا بالمدن أو الحضر ، بما جعل اللغة العربية لا تخرج عن دائرة حياة الأعراب أو 'خشونة البداوة' . مما قاد ، بحسب أطروحة الجابري ، لمعضلة رئيسية في الفكر العربي ووعي المثقف والإنسان العربي وعقليته وفكره ، فالعالم المحيط به يزخر بأشياء بات غير قادر عن التعبير عنها من خلال اللغة العربية الفصيحة التي هي بآلياتها الداخلية تتوافر فيها مقومات الكتابة والتفكير ودرجات عالية من الرقي البنيوي . وفي ذات الوقت تتبلور الإشكالية في بعد أكثر خطورة باستعمال اللغة العامية ، والتي لا يستطيع أن يتعامل بها فكراً ، لعدم احتوائها على الأدوات والآليات الضرورية للتفكير ، لكونها ليست لغة ثقافة أو فكر . وبالنتيجة فالمثقف العربي أصبح يعيش تناقض اللغة الفصيحة كمثال واللغة العامية كواقع مستعمل . والصورة تتعقد أكثر في حالتي الأمي العربي والمثقف العربي 'المستغرب' . فالأول ، وهو الأغلبية ، حبيس 'عاميته' إذ هو يتعامل مع أشياء لا يسميها ، وإذا فعل يستعمل مسميات أجنبية 'مكسرة' مما يترك أثراً عميقاً في فكره وبنية عقله الفكرية . أما الثاني الذي يستعمل أكثر من لغة منها لغات أجنبية فيعيش تناقض عوالم لغوية مختلفة ، حيث يفكر بلغة أجنبية ويكتب بلغة أو لغتين - عربية فصيحة وأخرى أجنبية - ويتحدث في البيت والشارع والجامعة بلغة ثالثة عامية .

7 - Benveniste Emil : Problèmes de l'inguistique générale. II .Ed. Gallimard Paris 1974 p . 69.

*** كان لارنولد نيكول Arnould & Nicole رأي خاص في هذه المسألة يستحق الإشارة إليه . تتمثل أطروحتهما في أن الكلمات لا تشير إلى الأشياء بل تعبر عن الأفكار العامة المجردة التي تتشكل في أذهاننا عن تلك الأشياء . ولإثبات هذه الأطروحة ميز 'ارنو و نيكول' بين الفكرة والصورة المتخيلة . فالفكرة هي بناء عقلي مجرد لا تربطه أية علاقة مباشرة بالواقع ، بينما الصورة من صنع الخيال ، وللخيال علاقة بالواقع مروراً بالانطباعات الحسية ، ومن ثمة ربط الفكرة بالكلمة ، حيث جعل الكلمة تشير إلى الفكرة ، وجعل الصورة المتخيلة تشير إلى شيء مخصوص . إن الكلمات لا تشير في نظره إلى الواقع ، ولا إلى أنواع الموجودات التي يزخر بها ولا إلى أجناسها وأنواعها ، بل تشير إلى الأفكار العامة المجردة التي تعبر عن تمثلاتنا لها . فالكلمة تشير إلى الفكرة التي لدينا عن الشيء لا إلى الشيء ذاته . وبذلك جعل الفكرة تلعب دور الوسيط بين الكلمة والشيء . يمكن القول بعبارة أخرى إن الكلمة تعبر عن تعريفنا للشيء لا عن الشيء ذاته . للمزيد أنظر إلى : بنعبد العالي عبد السلام و محمد سيبل : دفاقر فلسفية ، نصوص مختارة ، 05 اللغة . دار توبقال للنشر . دار البيضاء 2005 . ص 49-51 .

8 - زيدان محمود فهمي : في فلسفة اللغة . دار النهضة العربية . بيروت 1985 . ص 38-40 .

9 - الحاج صالح رشيد : المنطق واللغة والمعنى في فلسفة فتنجشتين . دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع 2005 . ص 71 .

10 - Cléro Jean pierre : Le vocabulaire de Lacan . Ed ellipses. Paris 2002 . pp 37- 38.

11 - ibid . . pp 77-79.

**** لقد حدد فرويد القواعد العامة التي تحكم اللاشعور في ألبتين هما التكثيف condensation والانزياح déplacement اللتان تظهران من خلال 'اللهجة' التي ينطق ويعبر بها عن محتوياته . وقد أعاد 'لاكان' صياغة هاتين الألبتين باستخدام مفهومين لسانيين : 'الاستعارة' وهي ما يعادل التكثيف ، ثم الكناية وهي تعادل النقل ، و هما بدورهما يندرجان تحت وظيفة عامة هي الانتقال transposition أي انزلاق المدلول تحت الدال ، وفقاً للصورة التي ينطلق فيها 'فرويدناوند سوسور' في نظريته اللغوية والخاصة بالدال Signifiant والمدلول Signifie .

12 - Cléro Jean pierre : Le vocabulaire de Lacan . Ed ellipses. Paris 2002 . pp 77.

- 13 - لايكوف وجونسون: «الاستعارات التي نحيا بها». ترجمة عبد المجيد جحفة. دار توبقال للنشر دار البيضاء. الطبعة الثانية 2009. ص 151.
- 14 - Busino Giovanni : « La place de la métaphore en sociologie » Revue européenne des sciences sociales .Tome XLI, 2003, N° 126, pp. 91-101.
- 15 - Queffélec A., Derradj Y., Debov V., Smaali-Dekdouk D., Cherrad-Benchefra Y: Le français en Algérie. Lexique et dynamique des langues. Ed . Duculot , Bruxelles 2002 .p35.
- 16 - دريدا جاك: أحادية الآخر اللغوية. ترجمة عمر مهيبل. منشورات الاختلاف. الجزائر 2008. ص 65 - 66.
- 17 - المعتوق أحمد محمد: نظرية اللغة الثالثة. دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى. المركز الثقافي العربي. دار البيضاء 2005. ص 72.
- 18 - لايكوف وجونسون: «الاستعارات التي نحيا بها». ترجمة عبد المجيد جحفة. دار توبقال للنشر دار البيضاء. الطبعة الثانية 2009. ص 2041 - المرجع نفسه ص 71 - 72.